س (١٠): مَا مَعنَىٰ إِخلاصِ النِّيَّةِ؟

ج: هُوَ أَن يَكُونَ مُرادُ العَبدِ بِجَمِيعِ أَقوالِهِ وَأَعمالِهِ الظَّاهِرَةِ، وَالبَاطِنَةِ ابتِغاءَ وَجهِ اللهِ تَعَالَىٰ.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَمَا أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل:١٩-٢٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى:٢٠]، وَغَيرُهَا مِنَ الآيَاتِ.[١]

الشرح

[١] فَلَابُدَّ مِن إِخلاصِ النِّيَّةِ فِي كُلِّ عَمَلٍ، وَفِي كُلِّ قَولٍ، وَفِيمَا يَتَعَلَّقُ بِاعتِقَادِ القَلبِ، وَأَن يَكُونَ مُرَادُ العَبدِ بِجَمِيعِ أَقوَالِهِ وَأَعمَالِهِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ، مِن عَمَلِ القَلبِ وَقَولِهِ، وَمِن قَولِ اللِّسَانِ وَعَمَلِ الجَوَارِحِ ابتِغَاءَ وَجهِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَأَن يَكُونَ ذَلِكَ عَلَىٰ مُقتَضَىٰ الشَّرعِ الَّذِي أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ أَلَّا يُدَانَ إِلَّا بِهِ، فَمُوَافَقَةُ الشَّرعِ هِيَ الشَّرطُ الثَّانِي مِن شَرطَي قَبُولِ العِبَادَةِ.

فَالشُّرُوطُ هِيَ: شَرطٌ فِي وُجُودِهَا، وَهُوَ صِدقُ العَزِيمَةِ، وَشَرطَانِ لِقَبُولِهَا: إِخلَاصُ النِّيَّةِ، وَمُوَافَقَةُ الشَّرعِ الَّذِي أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ أَلَّا يُدَانَ إِلَّا بِهِ -أَي: أَلَّا يُتَّخَذ دِينًا إِلَّا هُو-.

Scanned by CamScanner

س (١١): مَا هُوَ الشَّرعُ الَّذِي أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ أن لا يُدَانَ إلَّا بِهِ؟

ج: هِيَ الحَنِيفِيَّةُ مِلَّةُ إبرَاهِيمَ عليه السلام.

قَالَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، وَغيرُها مِنَ الآيَاتِ. [١]

الشرح

[١] لِكَي يُقبَلَ العَمَلُ عِندَ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- يَنبَغِي أَن يَكُونَ خَالِصًا لِلَّهِ، مُوافِقًا لِشَرعِ اللهِ، وَأَن يَكُونَ عَلَىٰ الشَّرعِ الَّذِي أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ أَلَّا يُدَانَ إِلَّا بِهِ، وَهُوَ الحَنِيفِيَّةُ مِلَّةُ إِبرَاهِيمَ: أَن تَعبُدَ اللهَ وَحدَهُ مُخلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُم لَهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذَّارِيَاتِ: ٥٦].

فَالعِبَادَةُ غَايَةُ الذُّلِّ، مَعَ غَايَةِ الحُبِّ، وَهِيَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ شَرعًا مِن غَيرِ

Scanned by CamScanner

اضطرارٍ عرفيٍّ؛ لأنها لا تثبت بالعُرف، ولا اقتضاءٍ عقلي؛ لأنَّ العبادة لا تثبت بالعقل؛ وإنما هي توقيفيةٌ محضةٌ.

العِبادةُ، كما قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ[1]: «اسمٌ جامعٌ، لكُلِّ ما يُحبُّهُ الله ويرضاهُ؛ من الأقوالِ، والأعمالِ، الباطنةِ والظَّاهرةِ».

وَالعِبادةُ يقبلُها اللهُ -تبارَكَ وتعالَى- ما توفَّر فيها شرطانِ: الإخلاصُ لِلّهِ، حَيثُ لَا شِركَ فِيهَا، وَالمُتابَعَةُ لِلنَّبِيِّ ﷺ حَيثُ لَا بِدعَةَ مَعَهَا.

فَيُمكِنُ أن نقولَ: إنَّ مَا يُقبَلُ مِنَ الأَعمَالِ: هُوَ مَا لَا شِركَ فِيهِ، وَلَا بِدعَةَ؛ لِأَنَّ مَا لَا شِركَ فِيهِ هُوَ الخَالِصُ لِلَّهِ، وَمَا لَا بِدعَةَ فِيهِ هُوَ المُوافِقُ لِشَرعِ اللهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

فَإِذَا اختَلَّ الشَّرطُ الأَوَّلُ، وَهُوَ الإِخلَاصُ، فَدَخَلَ الشِّركُ العِبَادَةَ، كَانَ مَن أَتَىٰ بِذَلِكَ غَيرَ عَابِدٍ لِلَّهِ.

وَإِذَا اختَلَّ شَرطُ المُتَابَعَةِ صَارَتِ العِبَادَةُ ابتِدَاعًا فِي دِينِ اللهِ.

كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تُسَمَّىٰ صَلَاةً، إِلَّا مَعَ الطَّهَارَةِ، كَذَلِكَ إِذَا دَخَلَ الشِّركُ فِي العِبَادَةِ فَسَدَت، كَالحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ.

شَرطُ الإِخلَاصِ وَالتَّوحِيدِ لِقَبُولِ العِبَادَةِ أَعظَمُ مِن شَرطِ الطَّهَارَةِ لِقَبُولِ الصَّلَاةِ، مَن صَلَّىٰ مُحدِثًا مُتَعَمِّدًا فَفِي تَكفِيرِهِ خِلَافٌ بَينَ العُلَمَاءِ، وَأَمَّا مَن عَبَدَ اللهَ مُشرِكًا بِهِ، فَلَا خِلَافَ فِيهِ.

---

(١) «مَجمُوعُ الفَتَاوَىٰ» (١٠/ ١٤٩).

Scanned by CamScanner

فقد الشرط يبطل العبادة، كما أن الحدث يفسد الطهارة، فأي عبادة خالطها شرك، أو داخلها، فإنها باطلة، كما أن الطهارة إذا خالطها أو باشرها الحدث فسدت.

والشرك بالله تعالى أكبر ذنب عُصي الله به، ومن أشرك بالله حرّم الله عليه الجنة، وأوجب له النار خالدًا فيها، قال -جل وعلا-: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢]، وقال -جل وعلا-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨].

وَالشِّرْكُ أَعْظَمُ الأَسْبَابِ المُوجِبَةِ لِدُخُولِ النَّارِ، وَالخُلُودِ فِيهَا، وَحِرمَانِ صَاحِبِهِ مِنَ الجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«مَن مَاتَ يُشرِكُ بِاللهِ شَيئًا دَخَلَ النَّارَ»**. وَالحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَينِ»(1).

وَفِيهِمَا عَنهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **«لَا تَدخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا نَفسٌ مُسلِمَةٌ»**(2).

---

(1) أخرجهُ البُخارِيُّ (١٢٣٨، ٤٤٩٧، ٦٦٨٣)، وَمُسلِمٌ (٩٢)، مِن حَدِيثِ عَبدِ اللهِ بنِ مَسعُودٍ رضي الله عنه.

(2) أخرجهُ البُخَارِيُّ (٣٠٦٢، ٤٢٠٣، ٦٦٠٦)، وَمُسلِمٌ (١١١)، مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «شَهِدنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حُنَينًا، فَقَالَ لِرَجُلٍ مِمَّن يُدعَىٰ بِالإِسلَامِ: **هَذَا مِن أَهلِ النَّارِ**، فَلَمَّا حَضَرنَا القِتَالَ قَاتَلَ الرَّجُلُ قِتَالًا شَدِيدًا، فَأَصَابَتهُ جِرَاحَةٌ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، الرَّجُلُ الَّذِي قُلتَ لَهُ آنِفًا: إِنَّهُ مِن أَهلِ النَّارِ. فَإِنَّهُ قَاتَلَ اليَومَ قِتَالًا شَدِيدًا، وَقَد مَاتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **إِلَىٰ النَّارِ**، فَكَادَ بَعضُ المُسلِمِينَ أَن يَرتَابَ، فَبَينَمَا هُم عَلَىٰ ذَلِكَ إِذ قِيلَ: إِنَّهُ لَم يَمُت، وَلَكِنَّ بِهِ جِرَاحًا شَدِيدًا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيلِ لَم يَصبِر عَلَىٰ الجِرَاحِ، فَقَتَلَ نَفسَهُ، فَأُخبِرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ، فَقَالَ: **اللهُ أَكبَرُ، أَشهَدُ أَنِّي عَبدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**، ثُمَّ أَمَرَ بِلَالًا فَنَادَىٰ فِي النَّاسِ: **أَنَّهُ لَا يَدخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا نَفسٌ مُسلِمَةٌ، وَأَنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ**».

Scanned by CamScanner

وَالشِّركُ يطمسُ نُور الفطرةِ فتصبحُ أعمالُ المُشرِكِ: ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾ [النور: ٣٩]. قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٤-٦].

الشِّركُ يمحقُ عِزَّةَ النَّفسِ، ويُورثُ المهانةَ والذُّلَّ؛ فالعِزَّةُ الحقيقيَّةُ مُستمدَّةٌ مِنَ الإيمانِ باللهِ وتوحيدِهِ، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

وَالشِّركُ يُمزِّقُ وحدةَ النَّفسِ البَشريَّةِ، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩].

فَالحَنِيفِيَّةُ: مِلَّةُ إبرَاهِيمَ، وَالحَنَفُ فِي اللُّغَةِ: المَيلُ، وَمَعنَىٰ الحَنِيفِيَّةِ: هِيَ المِلَّةُ المَائِلَةُ عَنِ الشِّركِ إِلَىٰ التَّوحِيدِ.

وَإبرَاهِيمُ عليه الصلاة والسلام كَانَ حَنِيفًا مُسلِمًا. حَنِيفًا: أَي: مَائِلًا عَنِ الشِّركِ مُعرِضًا عَنهُ إِلَىٰ التَّوحِيدِ وَالإخلَاصِ لِلَّهِ عز وجل: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]. فَالحَنِيفُ مِن أَوصَافِ إِبرَاهِيمَ -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- بِمَعنَىٰ أَنَّهُ مُعرِضٌ عَنِ الشِّركِ مَائِلٌ عَنهُ بِالكُلِّيَّةِ إِلَىٰ التَّوحِيدِ، مُتَوَجِّهٌ بِكُلِّ وِجهَتِهِ إِلَىٰ التَّوحِيدِ وَالإخلَاصِ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣]. وَقَالَ -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]. فَهَذِهِ أَوصَافُ إِبرَاهِيمَ -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- العَظِيمَةُ.

Scanned by CamScanner

مِنهَا: أَنَّهُ كَانَ حَنِيفًا، وَأَنَّ مِلَّتَهُ الحَنِيفِيَّةُ، وَهِيَ المِلَّةُ الخَالِصَةُ لِلَّهِ عَجَّلَ الَّتِي لَيسَ فِيهَا شِركٌ.

وَقَد أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَن يَتَّبِعَ هَذِهِ المِلَّةَ، بِقَولِهِ: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل:١٢٣].

وَأُمِرنَا كَذَلِكَ أَن نَتَّبِعَ مِلَّةَ إِبرَاهِيمَ -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ-، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الحج:٧٨].

وَالحَنِيفِيَّةُ دِينُ جَمِيعِ الرُّسُلِ، وَلَكِن لِكَونِ إِبرَاهِيمَ -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- أَفضَلَ الأَنبِياءِ بَعدَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَاقَىٰ فِي سَبِيلِ الدَّعوَةِ إِلَىٰ التَّوحِيدِ مِنَ التَّعذِيبِ وَالِامتِحَانِ مَا لَم يَلقَهُ غَيرُهُ فَصَبَرَ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَلِكَونِهِ أَبَا الأَنبِياءِ؛ فَإِنَّ الأَنبِيَاءَ الَّذِينَ جَاءُوا بَعدَهُ كُلُّهُم مِن ذُرِّيَّتِهِ -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ-، وَأَشرَفُ بَيتٍ فِي البَشَرِيَّةِ، هُوَ بَيتُ إِبرَاهِيمَ عليه السلام، فَإِنَّهُ أَبُو الأَنبِياءِ جَمِيعًا مِن بَعدِهِ، وَمِن ذُرِّيَّتِهِ النَّبِيُّ الأُمِّيُّ الخَاتَمُ ﷺ.

الحَنِيفِيَّةُ مِلَّةُ جَمِيعِ الأَنبِياءِ، وَهِيَ الدَّعوَةُ إِلَىٰ التَّوحِيدِ، وَالنَّهيُ عَنِ الشِّركِ، هَذِهِ مِلَّةُ جَمِيعِ الرُّسُلِ؛ وَلَكِن لَمَّا كَانَ لِإِبرَاهِيمَ مِنَ الصَّبرِ مَا كَانَ لَهُ، وَمِنَ التَّبلِيغِ مَا كَانَ لَهُ؛ نُسِبَتِ المِلَّةُ إِلَيهِ، وَنُسِبَ إِلَيهِ مَن جَاءَ بَعدَهُ.

وَالأَنبِياءُ كُلُّهُم مِن بَعدِ إِبرَاهِيمَ كَانُوا عَلَىٰ مِلَّةِ إِبرَاهِيمَ، وَهِيَ مِلَّةُ التَّوحِيدِ وَالإِخلَاصِ لِلَّهِ عَجَّلَ، فَهِيَ الحَنِيفِيَّةُ مِلَّةُ إِبرَاهِيمَ عليه السلام.

Scanned by CamScanner

مَا هِيَ هَذِهِ المِلَّةُ الَّتِي أمرَ نَبِيَّنَا ﷺ باتِّبَاعِهَا، وأُمرنا باتِّباعِهِ؟ يجبُ أن نعرِفَهَا؛ لِأَنَّ المُسلِمَ يَجِبُ عَلَيهِ أن يَعرِفَ مَا أوجَبَ اللهُ عَلَيهِ مِن أجلِ أن يمتثِلَهُ، وَمِن أَجلِ أَلَّا يُخِلَّ بِهِ، وَلَا يَكفِي أن يَنتَسِبَ إِلَىٰ مَا أَوجَبَ اللهُ عَلَيهِ بِدُونِ مَعرفَةٍ، لَا يَكفِي أن يَنتَسِبَ لِلإِسلَامِ، وَهُوَ لَا يَعرِفُهُ، وَلَا يَعرِفُ مَا هِيَ نَوَاقِضُهُ، وَلَا مَا هِيَ شَرَائِعُهُ، وَلَا مَا هِيَ أَحكَامُهُ، لَا يَكفِي الانتِسَابُ لِمِلَّةِ إِبرَاهِيمَ عليه السلام وَالمَرءُ لَا يَعرِفُهَا، فَإِذَا سُئِلَ عَنهَا، قَالَ: لَا أدرِي!! هَذَا لَا يَجُوزُ، يَجِبُ أَن نَعرِفَهَا جَيِّدًا، مِن أَجلِ أَن نَسِيرَ عَلَيهَا عَلَىٰ بَصِيرَةٍ، وَأَلَّا نُخِلَّ بِشَيءٍ مِنهَا.

مِلَّةُ إِبرَاهِيمَ -الحَنِيفِيَّةُ السَّمحَةُ- أَن تَعبُدَ اللهَ وَحدَهُ مُخلِصًا لَهُ الدِّينَ، هَذِهِ مِلَّةُ إِبرَاهِيمَ عليه السلام: أَن تَجمَعَ بَينَ الأَمرَينِ: العِبَادَةِ وَالإِخلَاصِ.

فَمَن عَبَدَ اللهَ وَلَم يُخلِص لَهُ الدِّينَ، لَم تَكُن عِبَادَتُهُ شَيئًا، مَن عَبَدَ اللهَ فَصَامَ وَحَجَّ وَصَلَّىٰ وَاعتَمَرَ وَتَصَدَّقَ وَزَكَّىٰ وَفَعَلَ الكَثِيرَ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَلَم يُخلِص لِلَّهِ عز وجل؛ لِأَنَّهُ يَفعَلُ ذَلِكَ رِيَاءً أَو سُمعَةً، أَو أَنَّهُ يَخلِطُ عَمَلَهُ بِشَيءٍ مِنَ الشِّركِ، كَدُعَاءِ غَيرِ اللهِ، وَالاستِغَاثَةِ بِغَيرِ اللهِ، وَالذَّبحِ لِغَيرِ اللهِ، فَهَذَا لَيسَ بِمُخلِصٍ فِي عِبَادَتِهِ لِلَّهِ؛ بَل هُوَ مُشرِكٌ، لَيسَ مَنسُوبًا إِلَىٰ مِلَّةِ إِبرَاهِيمَ عليه السلام، وَلَا هُوَ عَلَيهَا.

كَثِيرٌ مِمَّن يَنتَسِبُ إِلَىٰ الإِسلَامِ يَقَعُونَ فِي كَثِيرٍ مِن تِلكَ الأُمُورِ؛ يَدعُونَ غَيرَ اللهِ، وَيَذبَحُونَ لِغَيرِ اللهِ، وَيَنذِرُونَ لِغَيرِ اللهِ، وَيَتَبَرَّكُونَ بِهَذِهِ الآثَارِ الَّتِي لَم يَشرَعِ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أَن يُتَبَرَّكَ بِهَا، وَيَستَغِيثُونَ بِالأَموَاتِ، هَؤُلَاءِ لَم يَعرِفُوا مِلَّةَ إِبرَاهِيمَ -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- الَّتِي جَاءَ بِهَا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ، وَمِنَ النَّاسِ مَن

Scanned by CamScanner

عَرَفَهَا وَخَالَفَهَا، نَسأَلُ اللهَ أَن يُعِيذَنَا مِنَ الخِذلَانِ.

فَمِلَّةُ إبرَاهِيمَ عليه السلام لَا تَقبَلُ شِركًا بِوَجهٍ مِنَ الوُجُوهِ، وَمَن خَلَطَ عَمَلَهُ بِشِركٍ، فَلَيسَ عَلَىٰ مِلَّةِ إِبرَاهِيمَ، وَإِن كَانَ يَنتَسِبُ إِلَيهَا.

فَالوَاجِبُ أَن نَعرِفَ مِلَّةَ إِبرَاهِيمَ عليه السلام، وَأَن نَعمَلَ بِهَا، وَأَن نَلتَزِمَهَا بِأَن نَعبُدَ اللهَ مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، لَا يَكُونُ فِي عِبَادَتِنَا شَيءٌ مِنَ الشِّركِ الأَصغَرِ، وَلَا مِنَ الشِّركِ الأَكبَرِ مِن بَابِ أَولَىٰ.

هَذِهِ مِلَّةُ إِبرَاهِيمَ عليه السلام: الحَنِيفِيَّةُ الَّتِي أَعرَضَت وَمَالَت عَنِ الشِّركِ بِالكُلِّيَّةِ، وَأَقبَلَت عَلَىٰ التَّوحِيدِ بِالكُلِّيَّةِ، وَذَلِكَ بِأَن تَعبُدَ اللهَ مُخلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ.

أَمَرَ اللهُ عز وجل جَمِيعَ الخَلقِ بِعِبَادَتِهِ وَحدَهُ، أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، عَرَبَهُم وَعَجَمَهُم، أَبيَضَهُم وَأَسوَدَهُم، مِن عَهدِ آدَمَ إِلَىٰ آخِرِ بَشَرٍ فِي الدُّنيَا، أَمَرَهُم كُلَّهُم بِعِبَادَتِهِ وَحدَهُ مَعَ الإِخلَاصِ لَهُ تَعَالَىٰ فِي العِبَادَةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾؛ لِأَنَّهُ سبحانه وتعالى قَد جَعَلَ مَركُوزًا فِي الفِطرَةِ البَشَرِيَّةِ، وَمُستَقِرًّا فِي النُّفُوسِ الإِنسَانِيَّةِ أَنَّهَا تَعلَمُ أَنَّهُ لَا نِدَّ لَهُ، وَلَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ، وَلَا كُفءَ لَهُ، فَهَذَا نَهيٌ عَنِ الشِّركِ الأَكبَرِ، وَعَنِ الشِّركِ الأَصغَرِ.

Scanned by CamScanner

أمر الله -تبارك وتعالى- جميع الناس من أولهم إلى آخرهم بذلك، وخلقهم له -أي: لعبادته وحده لا شريك له-، كما قال -جل وعلا-: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وأمروا بذلك كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١]. خلقهم لها وأمرهم بها؛ لأن الله -تبارك وتعالى- لما كان الخالق وحده، والمالك وحده، والذي يدبر الأمر وحده، استحق ﷻ أن يعبد وحده، والله -تبارك وتعالى- خلق الجن، وخلق الإنس لهذا المقصد، وهو عبادته.

الجِنُّ عَالَمٌ مِن عَوالِمِ الغيبِ، لا نَراهُ، وَهُم مُكلَّفُونَ بالعِبادَةِ، مَنهيُّونَ عَنِ الشِّرْكِ، وَعَنِ المَعصيةِ، كَبَنِي آدَمَ، لَكِنَّهُم يَختَلِفُونَ عَن بَنِي آدَمَ فِي الخِلقَةِ، وَأَمَّا مِن نَاحِيَةِ الأَوامِرِ وَالنَّواهِي فَهُم مَأمُورُونَ ومَنهيُّونَ.

الجِنُّ عَالَمٌ مِن عَوالِمِ الغيبِ لا نَراهُم، لَكِنَّهُم مَوجُودُونَ.

الإِنسُ بَنُو آدَمَ سُمُّوا إِنسًا؛ لِأَنَّ بَعضَهُم يَأنَسُ بِبَعضٍ، يَجتَمِعُونَ وَيأتَلِفُونَ.

الجِنُّ سُمُّوا جِنًّا مِنَ الاجتِنَانِ، وَهُوَ الاختِفَاءُ وَعَدَمُ الظُّهُورِ، وَمِنهُ: الجَنِينُ، قِيلَ لَهُ: الجَنِينُ؛ لِأَنَّهُ مُختَفٍ فِي بَطنِ أُمِّهِ، وَكَذلِكَ تَقُولُ: جَنَّهُ اللَّيلُ إِذَا سَتَرَهُ. وَتَقُولُ: المِجَنُّ، وَهُوَ مَا يُتَّخَذُ لِلوِقَايَةِ بِهِ فِي الحَربِ مِنَ السِّهَامِ وَغَيرِهَا، فَهُوَ يُخفِي مَا وَرَاءَهُ مِنَ البَدَنِ، وَيَستُرُ حَامِلَهُ.

فَالِاجتِنَانُ وَالجِنَانُ: الشَّيءُ الخَفِيُّ المُستَتِرُ.

الجِنُّ مُستَتِرُونَ عَنَّا لا نَرَاهُم، فَهُم عَالَمٌ مَوجُودٌ، مَن أَنكَرَهُم فَهُوَ كَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ

Scanned by CamScanner

مُكَذِّبٌ لِلَّهِ ﷻ، وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَلِإِجمَاعِ المُسلِمِينَ.

لَقَد بَيَّنَ اللهُ ﷻ أَنَّهُ لَم يَخلُقِ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِعِبَادَتِهِ، لَا لِشَيءٍ آخَرَ، لَم يَخلُقهُم لِأَجلِ أَن يَنفَعُوهُ، أَو لِأَجلِ أَن يَستَعِزَّ بِهِم مِن ذِلَّةٍ، أَو لِيَستَكثِرَ بِهِم مِن قِلَّةٍ، فَهُوَ سُبحَانَهُ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ، وَمَا خَلَقَهُم لِحَاجَةٍ إِلَيهِم، مَا خَلَقَهُم لِأَجلِ أَن يَكسِبَ مِنهُم شَيئًا؛ بَل لِيُكسِبَهُم -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

خَلَقَ اللهُ الخَلقَ، وَهُوَ يَرزُقُهُم، لَا يُرِيدُ مِنهُم رِزقًا، ﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٧-٥٨].

فَاللهُ لَيسَ بِحَاجَةٍ إِلَىٰ الخَلقِ، وَلَيسَ بِالخَلقِ استَفَادَ اسمَ «الخَالِقِ»؛ بَل هُوَ الخَلَّاقُ العَلِيمُ، وَاللهُ ﷻ خَلَقَ الجِنَّ وَالإِنسَ لِشَيءٍ وَاحِدٍ بَيَّنَهُ: أَن يَعبُدُوهُ، وَلَيسَ بِحَاجَةٍ إِلَىٰ عِبَادَتِهِم، إِنَّمَا هُمُ المُحتَاجُونَ، فَهُم مُحتَاجُونَ إِلَىٰ عِبَادَتِهِ.

إِذَا عَبَدُوا اللهَ أَكرَمَهُمُ اللهُ، وَأَدخَلَهُمُ الجَنَّةَ، فَمَصلَحَةُ العِبَادَةِ رَاجِعَةٌ إِلَيهِم، وَمَضَرَّةُ المَعصِيَةِ عَائِدَةٌ عَلَيهِم.

أَمَّا اللهُ -جَلَّ وَعَلَا- فَلَا تَضُرُّهُ مَعصِيَةُ العَاصِي، وَلَا تَنفَعُهُ طَاعَةُ المُطِيعِ: ﴿إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨].

اللهُ لَا تَضُرُّهُ مَعصِيَةُ العَاصِي، وَلَا تَنفَعُهُ طَاعَةُ المُطِيعِ، وَإِنَّمَا هَذَا رَاجِعٌ إِلَىٰ الخَلقِ أَنفُسِهِم، إِن أَطَاعُوا اللهَ انتَفَعُوا، وَإِن عَصَوهُ تَضَرَّرُوا بِمَعصِيَتِهِ، أَمَّا الإِنسَانُ الَّذِي لَا يَعرِفُ دِينَهُ، وَإِنَّمَا يُقَلِّدُ النَّاسَ وَيَكُونُ تَبَعًا لَهُم، فَهَذَا لَن يَعرِفَ دِينَهُ، وَحَرِيٌّ بِهِ إِذَا سُئِلَ عَن دِينِهِ فِي قَبرِهِ أَن يَقُولَ: «لَا أَدرِي، سَمِعتُ النَّاسَ يَقُولُونَ

Scanned by CamScanner

شيئًا، فقلته»(١).

فعلى الإنسان أن يجتهد في معرفة الحنيفيّة؛ لأنها ملّة إبراهيم عليه السلام، وأمرنا الله -تبارك وتعالى- بها؛ كما أمر بها نبيّنا الكريم ﷺ.

---

(١) أخرجَهُ البُخارِيُّ (٨٦، ١٨٤، ٧٢٨٧)، وَمُسلِمٌ (٩٠٥)، مِن حَدِيثِ: أَسمَاءَ بِنتِ أَبِي بَكرٍ رضي الله عنهما، أَنَّهَا قَالَت: أَتَيتُ عَائِشَةَ حِينَ خَسَفَتِ الشَّمسُ وَالنَّاسُ قِيَامٌ، وَهِيَ قَائِمَةٌ تُصَلِّي، فَقُلتُ: مَا لِلنَّاسِ؟

فَأَشَارَت بِيَدِهَا نَحوَ السَّمَاءِ، فَقَالَت: سُبحَانَ اللهِ.

فَقُلتُ: آيَةٌ؟

قَالَت بِرَاسِهَا: أَن نَعَم.

فَلَمَّا انصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَمِدَ اللهَ وَأَثنَىٰ عَلَيهِ ثُمَّ قَالَ: «مَا مِن شَيءٍ لَم أَرَهُ إِلَّا وَقَد رَأَيتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا، حَتَّىٰ الجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُم تُفتَنُونَ فِي القُبُورِ قَرِيبًا مِن فِتنَةِ الدَّجَّالِ، فَأَمَّا المُؤمِنُ -أَوِ المُسلِمُ- فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ جَاءَنَا بِالبَيِّنَاتِ، فَأَجَبنَاهُ وَآمَنَّا، فَيُقَالُ: نَم صَالِحًا عَلِمنَا أَنَّكَ مُوقِنٌ، وَأَمَّا المُنَافِقُ -أَوِ المُرتَابُ- فَيَقُولُ: لَا أَدرِي سَمِعتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيئًا فَقُلتُهُ».

Scanned by CamScanner

س (١٢): كَم مَرَاتِبُ دِينِ الإِسلَامِ؟

ج: هُوَ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ: الإِسلَامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحسَانُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنهَا إِذَا أُطلِقَ شَمِلَ الدِّينَ كُلَّهُ.

س (١٣): مَا مَعنَى الإِسلَامِ؟

ج: مَعنَاهُ: الِاستِسلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوحِيدِ، وَالانقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالخُلُوصُ مِنَ الشِّركِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [النساء:١٢٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان:٢٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج:٣٤].[١]

الشرح

[١] بَيَّنَ رَحِمَهُ اللَّهُ مَعنَى الإِسلَامِ فَقَالَ:

الإِسلَامُ، هُوَ: «الِاستِسلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوحِيدِ، وَالانقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالبَرَاءَةُ مِنَ الشِّركِ وَأَهلِهِ».

الإِسلَامُ: مَأخُوذٌ مِن أَسلَمَ نَفسَهُ لِلشَّيءِ: إِذَا انقَادَ لَهُ.

فَالإِسلَامُ: إِسلَامُ الوَجهِ، وَالقَصدِ، وَالنِّيَّةِ لِلَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ

دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء:١٢٥].

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١١٢]؛ أي: أخلص عمله لله ﷻ، وانقاد لِلَّهِ تَعَالَىٰ عن طواعية واختيارٍ ورغبةٍ ورهبةٍ وذُلٍّ ومحبَّةٍ.

«الاستِسلامُ لِلَّهِ بالتَّوحِيدِ»، هُوَ: إفرادُ اللهِ -تَبارَكَ وَتَعالَىٰ- بالعِبادَةِ وهذا هُوَ مَعنَىٰ التَّوحِيدِ، فَمَن عَبَدَ اللهَ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، فَقَدِ استَسلَمَ لَهُ.

الاستِسلامُ لِلَّهِ بالتَّوحِيدِ، وَالانقِيادُ لَهُ سُبحانَهُ بالطَّاعَةِ، فِيمَا أَمَرَكَ بِهِ، وَمَا نَهاكَ عَنهُ، مَا أَمَرَكَ بِهِ تَفعَلُهُ، وَمَا نَهاكَ عَنهُ تَجتَنِبُهُ؛ طَاعَةً لِلَّهِ -تَبارَكَ وَتَعالَىٰ-.

«وَالبَرَاءَةُ مِنَ الشِّركِ وَأَهلِهِ»:

البَرَاءَةُ مِنَ الشِّركِ مَعنَاهَا: الِانقِطَاعُ وَالِانعِزَالُ وَالبُعدُ عَنِ الشِّركِ وَأَهلِ الشِّركِ، أَن تَعتَقِدَ بُطلَانَ الشِّركِ، فَتَبتَعِدَ عَنهُ، وَتَعتَقِدَ وُجُوبَ عَدَاوَةِ المُشرِكِينَ؛ لِأَنَّهُم أَعدَاءُ اللهِ ﷻ؛ فَلَا تَتَّخِذُهُم أَولِيَاءَ وَإِنَّمَا تَتَّخِذُهُم أَعدَاءً؛ لِأَنَّهُم أَعدَاءٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِدِينِهِ، فَلَا تُحِبُّهُم، وَلَا تُوَالِيهِم، وَإِنَّمَا تُقَاطِعُهُم فِي الدِّينِ، وَتَبتَعِدُ عَنهُم، وَتَعتَقِدُ بُطلَانَ مَا هُم عَلَيهِ.

فَلَا تُحِبُّهُم بِالقَلبِ، وَلَا تُنَاصِرُهُم بِالقَولِ، وَلَا تُعِينُهُم بِالفِعلِ؛ لِأَنَّهُم أَعدَاءُ اللهِ ﷻ، وَأَعدَاءُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَعدَاءُ دِينِ اللهِ، فَكَيفَ يُوَالِيهِم مَن كَانَ عَابِدًا لِلَّهِ، وَهُم أَعدَاءٌ لِلَّهِ؟!

لَا يَكفِي أَن يَستَسلِمَ الإِنسَانُ لِلَّهِ، وَأَن يَنقَادَ لَهُ بِالطَّاعَةِ، حَتَّىٰ يَأتِيَ بِهَذَا القَيدِ الثَّالِثِ الَّذِي ذَكَرَ، وَهُوَ: «البَرَاءَةُ مِنَ الشِّركِ وَأَهلِهِ»، فَهَذَا لَابُدَّ مِنهُ.

Scanned by CamScanner

فَلَابُدَّ أَن يَتَّصِفَ المُسلِمُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ:

أَوَّلًا: الِاستِسلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوحِيدِ.

ثَانِيًا: الِانقِيادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ.

ثَالِثًا: البَرَاءَةُ مِمَّا يُضَادُّ التَّوحِيدَ، وَيُضَادُّ الطَّاعَةَ، وَهُوَ الشِّركُ.

رَابِعًا: البَرَاءَةُ مِن أَهلِ الشِّركِ.

فَإِذَا حَقَّقَ المُسلِمُ هَذِهِ الصِّفَاتِ، فَإِنَّهُ يَكُونُ مُسلِمًا حَقًّا، وَإِذَا نَقَصَت صِفَةٌ وَاحِدَةٌ مِن تِلكَ الصِّفَاتِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ حِينَئِذٍ مُسلِمًا.

فَإِذَن، هَذَا التَّعرِيفُ يَنبَغِي أَن يُتَأَمَّلَ فِيهِ:

الإِسلَامُ مَعنَاهُ: الِاستِسلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوحِيدِ، وَالانقِيادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالخُلُوصُ وَالبَرَاءَةُ مِنَ الشِّركِ وَأَهلِهِ.

Scanned by CamScanner

س (١٤): مَا الدَّلِيلُ عَلَى شُمُولِهِ الدِّينَ كُلَّهُ عِنْدَ الإِطْلَاقِ؟ [١]

جـ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ»(١).

الشرح

[١] يَعْنِي: مَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّنَا إِذَا أَطْلَقْنَا لَفْظَ الإِسْلَامِ شَمِلَ الدِّينَ كُلَّهُ؟

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٤٦)، مِن حَدِيثِ: ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ الإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ المَسْجِدَيْنِ، كَمَا تَأْرِزُ الحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا».

وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٤٥)، مِن حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ».

وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣٧٨٤)، وَالدَّارِمِيُّ (٢٧٩٧، ط المُغْنِي)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٦٢٩)، وَابنُ مَاجَه (٣٩٨٨)، مِن طَرِيقِ: الأَعْمَشِ، عَن أَبِي إِسْحَاقَ، عَن أَبِي الأَحْوَصِ، عَن عَبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ».

قَالَ: قِيلَ: وَمَنِ الغُرَبَاءُ؟ قَالَ: «النُّزَّاعُ مِنَ القَبَائِلِ».

قَالَ حَنبَلٌ كَمَا فِي «المُنْتَخَبِ مِن عِلَلِ الخَلَّالِ» (ص ٥٧، ط الرَّايَةِ): قَالَ أَبُو عَبدِ اللهِ أَحمَدُ ابنُ حَنبَلٍ: «هَذَا حَدِيثٌ مُنكَرٌ»، وَأَخرَجَ الخَطِيبُ فِي «تَارِيخِ بَغْدَادَ» (٤/ ٣٨، ط العِلْمِيَّةِ)، عَن أَبِي بَكرٍ الأَثْرَمِ، قَالَ: قُلتُ لِأَبِي عَبدِ اللهِ: وَرَوَى عَن أَبِي الأَحْوَصِ، عَن أَبِي إِسْحَاقَ، عَن أَبِي الأَحْوَصِ، عَن عَبدِ اللهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا»؟

فَتَبَسَّمَ كَالمُتَعَجِّبِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا هَذَا زَعَمُوا أَنَّ حَفْصًا رَوَاهُ عَنِ الأَعْمَشِ عَن أَبِي إِسْحَاقَ. وَأَرَى الأَعْمَشَ أَخْطَأَ فِيهِ، وَأَبُو الأَحْوَصِ إِنَّمَا هُوَ كِتَابٌ عَن أَبِي إِسْحَاقَ، مِن أَيْنَ يُحتَمَلُ مِثلُ هَذَا؟

قَالَ ابنُ رَجَبٍ الحَنْبَلِيُّ فِي «شَرحِ عِلَلِ التِّرْمِذِيِّ» (٢/ ٧١١): «قَالَ عَلِيُّ بنُ المَدِينِيِّ: الأَعمَشُ يَضطَرِبُ فِي حَدِيثِ أَبِي إِسْحَاقَ»، وَانظُر: «الصَّحِيحَةَ» لِلأَلْبَانِيِّ (٣/ ٢٧٠، رَقم ١٢٧٣).

Scanned by CamScanner

وقال ﷺ: «أفضلُ الإسلام إيمانٌ بالله»(١). وغيرُ ذلك كثيرٌ. [١]

الشرح

[١] الغُرَباءُ: النُّزَّاعُ مِنَ القَبائِلِ.

وَالنُّزَّاعُ: جمعُ نازِعٍ ونَزِيعٍ، وهُوَ الغَرِيبُ الَّذي نَزَعَ عَن أَهلِهِ وعَشيرَتِهِ؛ أي: بَعُدَ عنهم وغابَ.

وهُمُ الَّذِينَ يُصلِحُونَ ما أفسَدَ النَّاسُ، وهُمُ الَّذِينَ يَصلُحُونَ إذا فَسَدَ النَّاسُ.

فهَذا الحَدِيثُ مِنَ الأدِلَّةِ عَلَىٰ أَنَّ الإِسلامَ يَشمَلُ الدِّينَ كُلَّهُ، عِندَ الإطلاقِ.

ومِنَ الأدِلَّةِ أيضًا: مَا وَرَدَ عَن عَمرِو بنِ عَبَسَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: «يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الإِسلامُ؟

قَالَ: أَن يُسلِمَ قَلبُكَ لِلَّهِ عز وجل، وَأَن يَسلَمَ المُسلِمُونَ مِن لِسَانِكَ وَيَدِكَ.

قَالَ: فَأَيُّ الإِسلَامِ أَفضَلُ؟

قَالَ: الإِيمَانُ»(٢).

---

(١) أخرَجَهُ البُخارِيُّ (٢٦، ١٥١٩)، ومُسلِمٌ (٨٣)، مِن حَدِيثِ: أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، أَيُّ الأعمَالِ أفضَلُ؟ قَالَ: «**إيمَانٌ بِاللهِ**. قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: **الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**. قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: **حَجٌّ مَبرُورٌ**».

(٢) أخرَجَهُ عَبدُ الرَّزَاقِ فِي «المُصَنَّفِ» (٢٠١٠٧)، وَأَحمَدُ (١٧٠٢٧)، وَعَبدُ بنُ حُمَيدٍ فِي «المُنتَخَبِ مِن مُسنَدِهِ» (٣٠١)، وَالخَرَائِطِيُّ فِي «مَكَارِمِ الأخلَاقِ» (٣٩١، ط الآفَاقِ)، مِن طَرِيقِ: مَعمَرٍ، عَن أَيُّوبَ، عَن أَبِي قِلَابَةَ، عَن عَمرِو بنِ عَبَسَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: «يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الإِسلَامُ؟

=

Scanned by CamScanner

فالإسلامُ عند الإطلاقِ يدخلُ فيه الإيمانُ بالنَّصِّ، كما هاهُنا في هذا الحديثِ:

قال: فأيُّ الإسلامِ أفضلُ؟ قال: الإيمانُ.

وهذا رواهُ أحمدُ، وابنُ أبي شيبةَ، وهو قويٌّ بشواهدِه.

ولهُ شواهدُ عندَ البُخاريِّ، ومُسلمٍ، والنَّسائيِّ، والترمذيِّ، وكُلُّها، عن أبي هُريرةَ ﷺ[1].

فهذا الحديثُ مِنَ الأدلَّةِ الَّتي ذكرَها المُصنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ علىٰ أنَّ الإسلامَ يشملُ الدِّينَ كُلَّهُ عِندَ الإطلاقِ.

❁❁❁

=

قالَ: أن يُسلِمَ قلبُكَ للهِ، وأن يَسلَمَ المُسلِمُونَ مِن لِسانِكَ ويَدِكَ.

قالَ: فأيُّ الإسلامِ أفضلُ؟ قالَ: الإيمانُ».

وصحَّحهُ بشواهِدِهِ العلَّامةُ الألبانيُّ في «السِّلسِلَةِ الصَّحِيحَةِ» (٢/ ٩٢-٩٣).

(١) تقدَّمَ تخريجُهُ؛ الحديثُ السَّابقُ نفسُهُ.

Scanned by CamScanner

س (١٥): مَا الدَّلِيلُ عَلَىٰ تَعرِيفِهِ بِالأَركَانِ الخَمسَةِ عِندَ التَّفصِيلِ؟ [١]

ج: قَولُهُ ﷺ فِي حَدِيثِ سُؤَالِ جِبرِيلَ إِيَّاهُ عَنِ الدِّينِ: «الإِسلَامُ: أَن تَشهَدَ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيتَ إِنِ استَطَعتَ إِلَيهِ سَبِيلًا»[١].

وَقَولُهُ ﷺ: «بُنِيَ الإِسلَامُ عَلَىٰ خَمسٍ...»[٢]، فَذَكَرَ هَذِهِ، غَيرَ أَنَّهُ قَدَّمَ الحَجَّ عَلَىٰ صَومِ رَمَضَانَ، وَكِلَاهُمَا فِي «الصَّحِيحَينِ».

الشرح

[١] فَالإِسلَامُ عِندَ التَّفصِيلِ يَدُلُّ عَلَىٰ الأَركَانِ الخَمسَةِ المَذكُورَةِ فِي حَدِيثِ جِبرِيلَ عليه السلام، وَأَمَّا الإِسلَامُ عِندَ الإِطلَاقِ فَيَشمَلُ الدِّينَ كُلَّهُ.

---

(١) أَخرَجَهُ مُسلِمٌ (٨)، مِن حَدِيثِ: ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَن عُمَرَ رضي الله عنه، وَأَخرَجَهُ البُخَارِيُّ (٥٠، ٤٧٧٧)، وَمُسلِمٌ (٩، ١٠)، مِن حَدِيثِ: أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه، بِلَفظِ: «الإِسلَامُ أَن تَعبُدَ اللهَ، وَلَا تُشرِكَ بِهِ شَيئًا، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ المَكتُوبَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ».

(٢) أَخرَجَهُ البُخَارِيُّ (٨)، وَمُسلِمٌ (١٦)، مِن حَدِيثِ: ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما.

Scanned by CamScanner

س (١٥): مَا الدَّلِيلُ عَلَىٰ تعرِيفِهِ بِالأَركَانِ الخَمسَةِ عِندَ التَّفصِيلِ؟ [١]

ج: قولُهُ ﷺ فِي حَدِيثِ سُؤَالِ جِبرِيلَ إِيَّاهُ عَنِ الدِّينِ: «الإِسلَامُ: أَن تَشهَدَ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيتَ إِنِ استَطَعتَ إِلَيهِ سَبِيلًا»(١).

وَقَولُهُ ﷺ: «بُنِيَ الإِسلَامُ عَلَىٰ خَمسٍ...»(٢)، فَذَكَرَ هَذِهِ، غَيرَ أَنَّهُ قَدَّمَ الحَجَّ عَلَىٰ صَومِ رَمَضَانَ، وَكِلَاهُمَا فِي «الصَّحِيحَينِ».

الشرح

[١] فَالإِسلَامُ عِندَ التَّفصِيلِ يَدُلُّ عَلَىٰ الأَركَانِ الخَمسَةِ المَذكُورَةِ فِي حَدِيثِ جِبرِيلَ عليه السلام، وَأَمَّا الإِسلَامُ عِندَ الإِطلَاقِ فَيَشمَلُ الدِّينَ كُلَّهُ.

---

(١) أَخرَجَهُ مُسلِمٌ (٨)، مِن حَدِيثِ: ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَن عُمَرَ رضي الله عنه، وَأَخرَجَهُ البُخَارِيُّ (٥٠، ٤٧٧٧)، وَمُسلِمٌ (٩، ١٠)، مِن حَدِيثِ: أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه، بِلَفظِ: «الإِسلَامُ أَن تَعبُدَ اللهَ، وَلَا تُشرِكَ بِهِ شَيئًا، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ المَكتُوبَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ».

(٢) أَخرَجَهُ البُخَارِيُّ (٨)، وَمُسلِمٌ (١٦)، مِن حَدِيثِ: ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما.

Scanned by CamScanner

س (١٦): مَا مَحَلُّ الشَّهَادَتَينِ مِنَ الدِّينِ؟

ج: لَا يَدخُلُ العَبدُ فِي الدِّينِ إِلَّا بِهِمَا.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: [النور:٦٢].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أُمِرتُ أَن أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشهَدُوا أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ...»(١). الحَدِيثَ.

وَغَيرُ ذَلِكَ كَثِيرٌ. [١]

الشرح

[١] فَمَحَلُّ الشَّهَادَتَينِ فِي الدِّينِ عَظِيمٌ جَلِيلٌ، لَا يَدخُلُ العَبدُ فِي الدِّينِ إِلَّا بِالشَّهَادَتَينِ.

---

(١) أَخرَجَهُ البُخَارِيُّ (٢٥)، وَمُسلِمٌ (٢٢)، مِن حَدِيثِ: عَبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضي الله عنهما.

س (١٧): مَا دَلِيلُ شَهَادَةِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟

ج: قَولُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨].

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩].

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٦٢].

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ﴾ [المؤمنون: ٩١]. الآيَاتِ.

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء:٤٢]. الآيَاتِ، وَغَيرُهَا. [١]

الشرح

[١] فَهَذِهِ الآيَاتُ وَغَيرُهَا دَلِيلٌ عَلَىٰ شَهَادَةِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

س (١٨): مَا مَعنَىٰ شَهَادَةِ أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟

ج: مَعنَاهَا: نَفيُ استِحقَاقِ العِبَادَةِ عَن كُلِّ مَا سِوَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَإِثبَاتُهَا لِلَّهِ ﷻ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلكِهِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢]. [١]

الشرح

[١] فَمَعنَىٰ شَهَادَةِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ نَفيٌ وَإِثبَاتٌ، وَهُمَا رُكنَا الشَّهَادَةِ، فَلَا تَقُومُ الشَّهَادَةُ إِلَّا عَلَىٰ هَذَينِ الرُّكنَينِ، فَلَابُدَّ مِنَ النَّفيِ وَالإِثبَاتِ.

نَفيُ استِحقَاقِ العِبَادَةِ عَن كُلِّ مَا سِوَىٰ اللهِ، وَإِثبَاتُهَا لِلَّهِ ﷻ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلكِهِ، وَلَهَا شُرُوطٌ يَأتِي بَيَانُهَا -إِن شَاءَ اللهُ-.

فَهَذَا مَعنَىٰ الكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، الَّتِي لِأَجلِهَا خَلَقَ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- السَّمَوَاتِ وَالأَرضَ.

وَلِأَجلِهَا أَنزَلَ الكُتُبَ، وَأَرسَلَ الرُّسُلَ، وَلِأَجلِهَا خَلَقَ الجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَلِأَجلِهَا قَامَت سُوقُ الجِهَادِ بَينَ أَولِيَاءِ الرَّحمَنِ وَأَولِيَاءِ الشَّيطَانِ.

وَلِأَجلِهَا يُقِيمُ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- القِيَامَةَ، وَيَنشُرُ النَّاسَ، وَيَبعَثُهُم وَيُؤتِيهِم كُتُبَهُم بِأَيدِيهِم مِن أَيمَانِهِم وَشَمَائِلِهِم، وَيَنصِبُ المَوَازِينَ، وَيَضرِبُ الصِّرَاطَ عَلَىٰ مَتنِ جَهَنَّمَ.

Scanned by CamScanner

هَذَا مَعنَىٰ شَهَادَةِ أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ نَفيُ استِحقَاقِ العِبَادَةِ عَن كلِّ مَا سِوَىٰ اللهِ، وَإِثبَاتُ العِبَادَةِ لِلَّهِ ﷻ وَحدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلكِهِ.

فَهِيَ نَفيٌ وَإِثبَاتٌ، وَلَابُدَّ مِنَ الإِتيَانِ بِهِمَا مَعًا.

فَـ«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»: لَا مَعبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ، فَهَذَا مَعنَىٰ شَهَادَةِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمَا شُرُوطُهَا؟

Scanned by CamScanner

س (١٩): مَا هِيَ شُرُوطُ شَهَادَةِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الَّتِي لَا تَنفَعُ قَائِلَهَا إِلَّا بِاجتِمَاعِهَا فِيهِ؟

ج: شُرُوطُهَا سَبعَةٌ:

الأَوَّلُ: العِلمُ بِمَعنَاهَا نَفيًا وَإِثبَاتًا. [١]

الثَّانِي: استِيقَانُ القَلبِ بِهَا.

الثَّالِثُ: الِانقِيَادُ لَهَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

الرَّابِعُ: القَبُولُ لَهَا؛ فَلَا يَرُدُّ شَيئًا مِن لَوَازِمِهَا وَمُقتَضَيَاتِهَا.

الخَامِسُ: الإِخلَاصُ فِيهَا.

السَّادِسُ: الصِّدقُ مِن صَمِيمِ القَلبِ، لَا بِاللِّسَانِ فَقَط.

السَّابِعُ: المَحَبَّةُ لَهَا وَلِأَهلِهَا، وَالمُوَالَاةُ وَالمُعَادَاةُ لِأَجلِهَا. [٢]

الشرح

[١] أَوَّلُ شُرُوطِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ: العِلمُ بِمَعنَاهَا نفيًا وَإِثبَاتًا؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ضَلُّوا فِي مَعرِفَةِ مَعنَىٰ الكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، وَجَهِلُوا المَعنَىٰ الحَقَّ الَّذِي هُوَ لَهَا، وَجَعَلُوا لَهَا مَعَانِيَ لَا تَستَقِيمُ، فَلَابُدَّ مِنَ العِلمِ بِمَعنَاهَا نفيًا وَإِثبَاتًا، فَهَذَا هُوَ الشَّرطُ الأَوَّلُ، وَمَعنَاهَا قَد مَرَّ.

[٢] فَهَذِهِ شُرُوطٌ سَبعَةٌ:

Scanned by CamScanner

عِلمٌ، يَقِينٌ، وَإِخلاصٌ، وَصِدقُكَ مَعَ مَحَبَّةٍ، وَانقِيَادٍ، وَالقَبُولِ لَهَا[1]

وَقَد نَظَمَهَا المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي «السُّلَّمِ»، فَقَالَ:

وَبِشُرُوطٍ سَبعَةٍ قَد قُيِّدَت وَفِي نُصُوصِ الوَحيِ حَقًّا ثَبَتَت
فَإِنَّهُ لَم يَنتَفِع قَائِلُهَا بِالنُّطقِ إِلَّا حَيثُ يَستَكمِلُهَا
العِلمُ وَاليَقِينُ وَالقَبُولُ وَالانقِيَادُ فَادرِ مَا أَقُولُ
وَالصِّدقُ وَالإِخلَاصُ وَالمَحَبَّه وَفَّقَكَ اللهُ لِمَا أَحَبَّه[2]

بَعدَ أَن ذَكَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ الشُّرُوطَ إِجمَالًا، شَرَعَ فِي التَّفصِيلِ مَعَ بَيَانِ الدَّلِيلِ، وَهَذِهِ طَرِيقَةٌ حَسَنَةٌ مُستَقِيمَةٌ، مِن طُرُقِ التَّعلِيمِ، فَإِنَّهُ يَحسُنُ أَن يُجمَلَ، ثُمَّ يُفَصَّلَ؛ لِكَي تَستَوعِبَ العُقُولُ، وَتَنتَبِهَ الأَفئِدَةُ.

---

(١) ذَكَرَهُ الشَّيخُ عَبدُ العَزِيزِ بنُ بَازٍ فِي «فَتَاوَىٰ نُورٌ عَلَىٰ الدَّربِ» (١/ ٤٥) (جَمعُ الدُّكتُورِ: مُحَمَّدِ بنِ سَعدِ الشُّوَيعِرِ)، وَقَالَ: «قَالَهُ شَيخُنَا الشَّيخُ سَعدُ بنُ حَمَدِ بنِ عَتِيقٍ رَحِمَهُ اللَّهُ»، وَكَذَا نَسَبَهُ الشَّيخُ الفَوزَانُ فِي «شَرحِ رِسَالَةِ تَفسِيرِ كَلِمَةِ التَّوحِيدِ، ضِمنَ سِلسِلَةِ شَرحِ رَسَائِلِ الإِمَامِ - جَمعُ عَبدِ السَّلَامِ السُّلَيمَانِ» (ص/ ١٤٢) (دَارُ الفُرقَانِ - القَاهِرَةُ)، وَزَادَ:

«وَزِيدَ ثَامِنُهَا الكُفرَانُ مِنكَ بِمَا دُونَ الإِلَهِ مِنَ الأَوثَانِ قَد أُلِهَا»

(٢) «مَعَارِجُ القَبُولِ بِشَرحِ سُلَّمِ الوُصُولِ»: لِلشَّيخِ: حَافِظ حَكَمِيٍّ (١/ ٣٢، ط ابنِ القَيِّمِ - الدَّمَامُ).

Scanned by CamScanner

س (٢٠): مَا دَلِيلُ اشْتِرَاطِ العِلْمِ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؟

جـ: قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ [الزخرف:٨٦] أي: بـ«لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، بِقُلُوبِهِمْ مَعْنَى مَا نَطَقُوا بِهِ بِأَلْسِنَتِهِمْ. [١]

وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ»(١).

الشرح

[١] فَدَلِيلُ اشْتِرَاطِ العِلْمِ بِـ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» نَفْيًا وَإِثْبَاتًا، قَوْلُ رَبِّنَا -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦].

﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أَيْ: شَهِدَ بِـ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، أَيْ: بِقُلُوبِهِمْ مَعْنَى مَا نَطَقُوا بِهِ بِأَلْسِنَتِهِمْ.

وَدَلِيلٌ مِنَ السُّنَّةِ، وَهُوَ قَوْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ». وَهَذَا الحَدِيثُ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ، وَأَحْمَدُ، عَنْ عُثْمَانَ ﷺ وَأَخْرَجَهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ فِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ.

وَالحَدِيثُ فِي ظَاهِرِهِ يُوهِمُ أَنَّ مَعْرِفَةَ القَلْبِ تَنْفَعُ صَاحِبَهَا دُونَ النُّطْقِ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَبِدُونِ العَمَلِ بِالجَوَارِحِ.

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٦)، وَأَحْمَدُ (٤٤٧، ٤٦٤، ٤٩٨)، وَابْنُ خُزَيْمَةَ فِي «التَّوْحِيدِ» (٢/ ٨١٧ رَقْم ٦١، ط الرُّشْدِ) وَمَوَاضِعَ، مِنْ حَدِيثِ: عُثْمَانَ رضي الله عنه.

Scanned by CamScanner

«مَن مَاتَ وَهُوَ يَعلَمُ أن لَا إلَهَ إلَّا اللهُ دَخلَ الجنَّةَ»: مَن تَوقَّفَ عِندَ حُدُودِ ظَاهِرِ الحَدِيثِ، وَلَم يَجمَع بَينَ النُّصُوصِ، تَوهَّمَ أنَّ مَعرِفَةَ القَلبِ تَنفَعُ صَاحِبَهَا دُونَ النُّطقِ بِالشَّهَادَتَينِ، وَبِدُونِ العَمَلِ بِالجَوارِحِ أيضًا؛ وَلَكِن لَمَّا كَانَت هُنَاكَ أَحَادِيثُ وَرَدَت عَنِ النَّبِيِّ ﷺ تُفَسِّرُ مُجمَلَ هَذَا الحَدِيثِ، لَم يَحمِلهُ السَّلَفُ الصَّالِحُ عَلَى ظَاهِرِهِ؛ لِيَجمَعُوا بَينَ نُصُوصِ الشَّرِيعَةِ، وَعَلَى هَذَا كَانَ الإِيمَانُ عِندَ أهلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: قَولٌ بِاللِّسَانِ، وَاعتِقَادٌ بِالجَنَانِ، وَعَمَلٌ بِالأَركَانِ.

فَلَا يَحتَجَّنَّ أَحَدٌ عَلَى إرجَائِهِ، بِقَولِ رَسُولِ اللهِ ﷺ : «مَن مَاتَ، وَهُوَ يَعلَمُ أن لَا إلَهَ إلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ»[١].

وَلَا يَقُولَنَّ قَائِلٌ: يَكفِي أن يَعلَمَ القَلبُ أنَّهُ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ، حَتَّى يَدخُلَ العَبدُ الجَنَّةَ؛ بَل لَابُدَّ مِن قَولِ اللِّسَانِ، وَالعَمَلِ بِالأَركَانِ، مَعَ الاعتِقَادِ بِالجَنَانِ.

فَهَذَا دَلِيلُ اشتِرَاطِ العِلمِ، بِـ: «لَا إلَهَ إلَّا اللهُ» نفيًا وَإِثبَاتًا، مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

(١) التَّخرِيجُ السَّابِقُ نَفسُهُ.

Scanned by CamScanner